

الفاعلون السياسيون والحراك في الجزائر: معضلة التمثيل

جوان 2022

ترجمة هذه الورقة من الفرنسية

لويزة دريس آيت حمادوش

بروفيسورة بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الجزائر 3



الفاعلون السياسيون والحراك في الجزائر: معضلة التمثيل

ملخص المقال

تشكل انتفاضة 22 فيفري الشعبية في الجزائر لحظة محورية بدأنا للتو في تحليل حيثياتها وظروفها وأسبابها ونتائجها ومحتوياتها وفعاليتها ببعض التأمل. ومن بين المسائل المثارة أثناء وبعد الانتفاضة، نذكر دور الفاعلين. وخلف هذا الجانب ظهرت مسألة التمثيل التي سريعا ما أصبحت معضلة مركزية. وبالفعل، فقد برز عداء شديد في المسيرات ومنصات التواصل والخطابات ومنذ الأسابيع الأولى ضد أي شكل من أشكال التمثيل والتنظيم، وذلك سواء تعلق بالأحزاب السياسية الموجودة أو بالرموز التي برزت حينها.

يستحق هذا التوتر المسألة والتحليل والفهم لأنه يحتل مكانة مركزية في أي إعادة ترتيب سياسية عميقة. إلا أن إعادة الترتيب التي تشكل أحد مطالب الحراك الكبرى لا يمكن أن تستغني عن تمثيل سياسي جديد، والذي يتطلب بدوره إيجاد حل لمسألة الرفض هذه. سيحاول هذا المقال فهم العناصر المشكلة لهذه العلاقة المتناقضة عبر تحليل الأسباب المتعلقة بحوكمة الساحة السياسية قبل وبعد 22 فيفري 2019. وسيحلل أيضا الأسباب الداخلية المرتبطة بفاعلي حركة شعبية جوهرية.

انفردت الانتفاضة الشعبية الجزائرية، عندما بدأت في فيفري 2019، بميزات شدد انتباه الفاعلين وكذا المراقبين. وكان من بين هذه الميزات غياب أي قادة أو ممثلين أو هياكل منظمّة من شأنها أخذ الشعارات على عاتقها واقتراح حلول سياسية أو تنظيم الانتفاضة. فالحراك بكونه حركة شعبية¹ وبالإضافة إلى انطلاقه عبر نداءات وشعارات مجهولة المصادر، لكنه أبقى أيضاً على عدم التشخيص هذا ورفض الخروج منه². ومنه فإن هذه الانتفاضة تشبه من هذا المنظور الحركات الاجتماعية الجديدة³ التي لوحظت في شتى أرجاء العالم (السترات الصفراء، Occupy Wall Street، Movimiento 15-M...) والتي بلغت ذروتها في 2020⁴. إن غياب القيادة والتأطير لازمتها أو تبعته إشكالية التمثيل، والتي نجدها أيضاً في الحركات الاجتماعية الجديدة في الغرب. يطرح هذا السؤال على مستويين في خضم أية إعادة تنظيم سياسية:

- قبول -أو عدم قبول- ممثلين رسميين موجودين من قبل، مثل الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات،
- قبول -أو عدم قبول- بروز تمثيل جديد مشكل من قادة من الحراك، ما يعني أفراداً أصبحوا وجوها رمزية للانتفاضة.

وفق هذين المستويين، فإن التفكير في عملية إعادة التنظيم السياسية تتطلب التساؤل، بعد ثلاثة سنوات من انطلاق الحراك، حول مفهوم التمثيل وبشكل أخص حول الأسباب التي أنتجت أزمة التمثيل ضمن الحركة الشعبية. فقد برز فاعلون مثل الأحزاب السياسية المجتمعة ضمن تحالف البديل الديمقراطي⁵، ومنظمات من المجتمع المدني، وتنظيمات حقوقية ونقابات وشخصيات من قطاعات مختلفة، وكان لهم حضور قوي في المسيرات وخارجها. أطلقوا مبادرات سياسية وحاولوا بناء جسور تواصل مع الأحزاب السياسية ونظموا ندوات نقاش بالإضافة إلى حضورهم في المسيرات الشعبية. لكنهم شددوا كلهم وفي كل مناسبة أنهم ليسوا ممثلي الحراك وأنهم لا يطمحون أن يصبحوا كذلك، كما اعتبر بعضهم أن الحراك لا يحتاج إلى تمثيل ولا لتنظيم. وحتى على المستوى السيميائي فإن مفاهيم الحزب والجهة كانت مرفوضة⁶. رفض لخصه الشاعر الشهير «يتنحاو قاع» الذي رافق مطلب «تغيير النظام». صوّر هذا الأخير على أنه رغبة في القطيعة مع الشخصيات السياسية وممارسات الحكم القائم في نفس الوقت⁷.

كيف أصبحت مسألة التمثيل (التنظيم) مشكلة أساسية في الانتفاضة الشعبية الجزائرية؟ لماذا حملت شخصيات الحراك ورغم التزامها الواضح، معضلة التمثيل هذه وأعدت إنتاجها؟ هل كانت المشكلة في خطاباتهم، واستراتيجيات عملهم، واختلافاتهم الإيديولوجية، وتحالفاتهم؟ ما مدى تأثير السلطات العمومية من جهة وجموع المتظاهرين من جهة أخرى على تغذية هذه الإشكالية التي تحتل مكانة مركزية في عملية إعادة التنظيم السياسي المستقبلي في الجزائر؟ لكي نحصل على عناصر إجابة عن هذه التساؤلات، نقدم الفرضية التالية: لمعضلة التمثيل في الحراك سبب مزدوج:

- السياسات المنتهجة تقليدياً من طرف السلطات والهادفة إلى منع بروز قيادة سياسية شرعية
- مواصفات فاعلي الحراك

يرتكز هذا المقال على المراقبة المشاركة في المسيرات الشعبية أيام الجمعة والثلاثاء، وكذا على عدة مبادرات شعبية قادها فاعلون في المجتمع المدني.

¹ الحركة الاجتماعية هي عمل جماعي ينهذه الأفراد والمنظمات المنخرطة في علاقة صراع ومعبأة من أجل تحقيق المطالب المشتركة من خلال الإجراءات المشتركة، Sandrine Rui، « Mouvements sociaux », Sociologie, Les 100 mots de la sociologie, <http://journals.openedition.org/sociologie/3207> consulté le 21 avril 2022.

² Louisa Dris-Aït Hamadouche, « Soulèvement populaire en Algérie : crise politique et acteurs politiques en crise », Maghreb-Machrek, n° 244-245.

³ Charles Tilly, Sidney Tarrow, « Les mouvements sociaux », Politique(s) du conflit, 2008.

⁴ Merouane Louanas, Processus du 22 février 2019 en Algérie : étude sur la nature u mouvement de protestation et ses dimensions internes et externes (en arabe), Master en sciences politiques et relations internationales, mai 2021

⁵ Isabel Ortiz, Sara Burke, Mohamed Berrada, Hernán Saenz Cortés, "An Analysis of World Protests 2006-2020", https://link.springer.com/chapter/10.1007/978-3-030-88513-7_2, consulté le 07/02/2022

⁶ تحالف البديل الديمقراطي (PAD) هو تجمع لأحزاب سياسية موجودة من قبل ومجموعات نشأت بعد 22 فيفري

⁷ Omar Carlier, « Hirak : un mouvement socio-politique inédit et inventif. Temps suspendu et/ou en devenir », p10, <https://journals.openedition.org/insaniyat/23179>

Mansour Kedidir, « Le hirak : les marches pour la reconnaissance », Insaniyat, 87 | 2020, p. 93-110 <https://doi.org/10.4000/insaniyat.23334>

إدراك التمثيل في الحراك: تعقيد داخل التعقيد

إن التمثيل مفهوم ذو معاني عدة، شرحته فوراتيار⁸ منذ قرون، ويترجم تعقيده الداخلي بشكل مثالي ذلك التعقيد السائد داخل الانتفاضة الشعبية.

وهكذا يوافق رفض التمثيل المعبر عنه في المسيرات وعلى مواقع التواصل وفي تصريحات العديد من شخصيات الحراك، يوافق التعريف الأول للتمثيل. يعتبر هذا الأخير التمثيل على أنه عرض فكرة أو شيء أو شخص غائب عبر تبديله بشخص أو بصورة قادرة على تمثيله بشكل مناسب⁹. وهكذا، يشير التمثيل إلى «كيان رسمي - مكاني وزماني دائما، مادي وذهني، فردي وجماعي - يشير إلى كيان آخر (يسمى المرجع) ويشجع بهذا استعراف وفعل الأفراد»¹⁰. ولهذا فإن التمثيل يقتضي حلول مكان شخص ما، المرجع، والإمساك بسلطته.¹¹

لكن جزءاً من الإشكالية يتعلق بالخاصية النسبية للتمثيل المناسب، إذ أن التبدل يتمثل في تفسير وإعطاء معنى للممثل، على حساب تفسيرات أو معانٍ ممكنة أخرى¹². ومن جهة أخرى، فإن تحويل سلطة الممثل نحو الممثل تحدث عبر عدة وسائل (التعيين، الانتخاب، إلخ) حسب نوع التمثيل. والنتيجة أن كون هذا التمثيل يلجأ لا محالة إلى مجموعة متغيرات ووسائل يجعله في النهاية غير قادر على إعادة إنتاج المرجع بشكل مثالي.

لكن التعريف الثاني للتمثيل يوافق ذلك المدافع عنه في الحراك الشعبي. وعلى خلاف التعريف الأول، يعتبر الثاني أن التمثيل هو «عرض شيء والمثول شخصياً. فالشيء أو الشخص هو ما يشكل تمثيله لنفسه»¹³. وهكذا يقوم التمثيل على إظهار وتشديد ومضاعفة حضور ما. في هذه الحالة، يشمل ما يمكن اعتباره تمثيلاً ذاتياً أن يُظهر الممثل نفسه لكي ينتج ويفرض صورة معينة لنفسه¹⁴. نكون في هذه الحالة أمام تمثيل من نوع التجسيد الذاتي والذي يختلف عن التجسيد الذي يتضمن إما التشخيص عبر فرد له كاريزما، وإما عبر تشكيلات جماعية تجسد الممثلين.¹⁵

يمكن إذن تحليل مسألة التمثيل في الحراك من خلال المعاني المتعددة للمفهوم، ولكن أيضاً عبر التصنيفات (الرؤى) المتعددة. تحدد هانا بيتكين¹⁶ أربعة منها:

- التمثيل الرسمي: يعتمد على وجود إجراء رسمي يؤهل الممثل للتصرف باسم الممثل ويرغمه على المساءلة،
- التمثيل الوصفي: تركز على الصفات المشتركة (العرق، الدين، النوع...) التي تصبح أساس التمثيل،
- التمثيل الرمزي: يؤمن الممثل بالقدرة الرمزية للممثل،
- التمثيل الموضوعي: يتصرف الممثل من أجل تحقيق أهداف الممثل

Marie-Eve Ouellet, « La représentation en Nouvelle-France », Bulletin d'histoire politique, Volume 26, Numéro 1, Automne 2017, p. 35–39, <https://id.erudit.org/iderudit/1041431ar>

Roger Chartier, « Donner à voir un objet absent », <https://laviedesidees.fr/Le-sens-de-la-representation.html>, 22 mars 2013, consulté le 18/12/2021,⁹

Alex Gagnon, « Représentation », in Anthony Glinier et Denis Saint-Amand (dir.), Le lexique socius, URL : <http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>, page consultée le 21 avril 2022

.Yves-François Le Lay, « Représentation », notion à la une de Géoconfluences, janvier 2016-¹⁰

URL : <http://geoconfluences.ens-lyon.fr/informations-scientifiques/a-la-une/notion-a-la-une/notion-a-la-une-representation>, consulté le 31/01/2022

Marie-Eve Ouellet, op cit-¹¹

, Alex Gagnon, op cit-¹²

Roger Chartier, op cit-¹³

Alex Gagnon, « Représentation », dans Anthony Glinier et Denis Saint-Amand (dir.), Le lexique socius, URL : <http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>, page consultée le 30 janvier 2022. Pour plus de détails, voir

.Erving Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne, Paris, Minuit, 1973 ; Erving Goffman, Les rites d'interaction

.Paris, Minuit, « Le sens commun », 1974

<http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>

Samuel Hayat, Corinne Péneau, Yves Sintomer, « La représentation-incarnation », Raisons politiques, Presses de Sciences Po, 2018/4 N° 72, <https://www.cairn.info/revue-raisons-politiques-2018-4-page-5.htm>, consulté le 02/01/2022 ¹⁶

Hanna F. Pitkin, The Concept of Representation, University Of California Press, February 1972

في حالة الانتفاضة الشعبية الجزائرية، لا يصلح التمثيلان الأول والثاني. فقد كان من الصعب جدا من الناحية العملية تنظيم إجراءات من شأنها إبراز مندوبين¹⁷. وفيما يخص المشاركة في الانتخابات الرسمية، فإن الرأي الغالب كان رفض المشاركة فيها نظرا لغياب ضمانات الشفافية وللسياق القمعي. وأما التمثيل الوصفي فلا يوجد مجال حقيقي لتطبيقه. من جهة أخرى، فإن الخاصة الوطنية والشعبية وغير المتجانسة والتعددية للحراك أقصت منذ البداية إمكانية التمثيل على أساس جوهري. يبقى التصنيفان الأخيران. يمكن أن يصف التمثيل «الرمزي» الشخصيات البارزة في الحراك التي ظهرت كرموز حقيقية، والتي يتابعها الناس في المسيرات كما على مواقع التواصل. وهم أفراد فرضوا أنفسهم عبر حضورهم الدائم في المسيرات واللقاءات السياسية والندوات والنقاشات ومبادرات المجتمع المدني. كان بعضهم معروفا قبل 2019، وبرز بعضهم بفضل الانتفاضة الشعبية وعززوا مكانتهم أو طوروا تفكيرهم وزادوا من شرعيتهم. عبر تنقلهم إلى عدة ولايات وتنظيمهم للقاءات تابعها الناس، ظهر بعضهم وقتها في ثوب رجل سياسي يشن حملة انتخابية.

هكذا ظهر قادة رمزيون في الأسلاك المجددة والأكثر بروزا. كان أولها سلك المحامين والذي يجب أن نضيف إليه بعض القضاة الذين جعلت منهم مواقفهم أيقونات حقيقية لدى الرأي العام¹⁸. فُرضت مكانة الممثل الرمزي للمحامين عبر التزام هيئة الدفاع عن معتقلي الرأي، والتي رشحت لجائزة Lawyer Awards 2021 (جائزة المحامين 2021)¹⁹. تتشكل من محامين شباب وكذا من مهنيين لهم مسار سياسي ونضالي قبل 2019. وكان الأقدمون بينهم معروفين بنضالهم الطويل في المجال السياسي و/أو الحقوقي.²⁰ تعززت شرعيتهم نوعا ما بقدر ما كان القمع يزداد مع مرور الوقت. شرع حينها المحامون المشكلون لهيئة الدفاع عن المعتقلين في التنقل إلى محاكم كافة ربوع البلاد والتزموا متطوعين لمؤازرة معتقلي الرأي الذين جعلت منهم مرافعاتهم رموزا، دون أن يتوهموا أن لكلماتهم القدرة على منع الاعتقالات والإدانان.

وعرف سلك الصحافة ظهور رموز بارزة في الانتفاضة الشعبية. ويعود هذا الظهور إلى عدة أسباب مترابطة. أولها أنهم كانوا حاضرين بقوة في المسيرات، سواء بصفة شخصية أو لأسباب مهنية. تميز بعضهم في 2014 داخل حركة بركات المعارضة للعهد الرابعة. وخلال الحراك، أسست مجموعة من الصحفيين الشباب رابطة سموها «الصحافيون الجزائريون المتحدون»²¹ (JAU - nalistes Algériens Unis). انخرطوا في الدفاع عن الصحفيين المعتقلين والمتابعين ونظموا وقفات منتظمة ولقاءات تشاور وناضلو بصفة عامة من أجل حرية الصحافة والتعبير. تميزوا بارتدائهم شارة ذراع مكتوب عليها «صحفي حر». عندما توقفت وسائل الإعلام العمومية عن تغطية المسيرات، بدأت السلطات بالاهتمام بالصحفيين الذين واصلوا ذلك، ولكن كمناضلين أكثر من كونهم صحفيين. هكذا تعرض عدد منهم للاعتقال والمتابعة القضائية، وأدين بعضهم بالسجن النافذ. جعل تجريم العمل الصحفي بعضهم رموزا للمقاومة، سواء على المستوى الوطني أو الدولي.²²

برزت أيضا وجوه رمزية في أوساط الطلبة. يعتبر هذا تفردا لأنه وباستثناء مدينة خراطة أين كانت تنظم مسيرات كل يوم سبت، كان الطلبة الوحيدون الذين استطاعوا فرض يوم آخر من المسيرات. كانت رنامة الحراك تمشي على وقع أرقام أيام الجمعة والثلاثاء. وإضافة إلى المسيرات، نظمت نقاشات، خاصة في إطار «الجامعة في الشارع»، التي نظمها أساتذة جامعيون. كانت القدرة الكامنة لالتزام الطلبة قوية لدرجة أن السلطات قررت بين عشية وضحاها تقديم العطلة وغلقت الجامعات والإقامات

17-نادت أحزاب سياسية مثل PT والPST إلى هيكلة الحراك على المستوى المحلي، ثم الجهوي، عبر انتخاب ممثلين، الأمر الذي لم يحدث.

18-نذكر على وجه الخصوص قضية القاضي سعد الدين مرزوق، المتحدث باسم نادي القضاة الأحرار وأحد قادة الإضراب الأول على الإطلاق الذي قاده قضاة جزائريون، للمطالبة باستقلال العدالة، وكذلك سيد أحمد بلهادي، وكيل الجمهورية في محكمة بالجزائر العاصمة طلب الإفراج لصالح معتقلي الحراك. وصرح في لائحة الاتهام: «الجزائريون يسرون بخصي ثابتة نحو الجزائر الجديدة، جزائر حيث العدالة ستكون حرة ومستقلة. الجزائريون يرددون شعارات تطالب بالعدالة الحرة والمستقلة. لهذا، أتحمّل مسؤولياتي كممثل للنيابة. تجسيدا لمبدأ استقلال العدالة، وحتى لا نقول إننا نعمل بالأوامر الفوقية، نطلب النيابة الإفراج.» عوقب القاضي، الأول شطب في ماي 2012، والثاني حول إلى الجنوب.

19- «Lawyers from Algeria, Belarus and Myanmar shortlisted for the 2021 Award», 4 June 2021, <https://lawyersforlawyers.org/wp-content/uploads/2021/06/Press-release-final-2021-L4L-Award.pdf>

20-على سبيل المثال وبطريقة غير شاملة، نذكر مصطفى بوشاشي، نور الدين أحمين، عبد الغني بادي، نبيلة إسماعيل، نور الدين بن يسعد، عويشة بختي، سعيد زاهي، عبد الرحمن صالح، ...

21-حوار مع خالد درارني، العاصمة 20/04/2022

22-الحالة الأكثر رمزية هي حالة خالد درارني، لكنها ليست الحالة الوحيدة. بين فيفري 2019 وفيفري 2022، حُكم على 8 صحفيين بالسجن، ويواجه 9 إجراءات قانونية، وحجبت 6 مواقع إخبارية. وندد بالإجماع بالعودة إلى تجريم العمل الصحفي، حيث يكفل الدستور حق التعبير، وفي عهد عبد العزيز بوتفليقة، لم يُسجن أي صحفي على أساس كتاباته. يمكن لقضية محمد بن شيكو أن تنكر هذا التأكيد لكن مدير Le Matin قبض عليه وحوكم على أساس وقائع تتعلق بالقانون العام.

الجامعية ووقف وسائل نقل الطلبة²³. لم يُتخذ قرار مماثل من قبل، حتى خلال أحداث أكتوبر 1988 أو أثناء الربيع الأمازيغي في 1980 أو 2001. يفسر العزم الذي أبدوه، خاصة بتحويل ثلاثاء الطلبة إلى ثلاثاء شعبي، القمع الذي طالهم سواء داخل الحرم الجامعي أو خارجه.

نضيف هنا أيضا وجوها فردية صارت رمزية بامتياز. شخصيات ممثلة ليس لشريحة من المتظاهرين فحسب بل لشريحة مهمة من مجتمع اليوم. يتعلق الأمر بشباب من الأوساط الشعبية. سواء كانت لهم خلفية فكرية ضئيلة أو معدومة، اجتاحوا الحراك بخبرتهم في الحياة ومهارتهم في ميدان ما. يتعلق الأمر بفنانين ونشطاء في التضامن الاجتماعي وبطالين... وسماوا التحرك الشعبي ببصمتهم بفضل شخصياتهم القوية وحسهم المرهف، لدرجة أنهم أصبحوا هوساً بالنسبة لمصالح الأمن²⁴.

اختلفت الأسلاك المتجندة (طلبة، أطباء، محامون، قضاة، موظفو الجماعات المحلية ومعلمون) والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، ورددوا الشعارات المتجانسة التي كانت بمثابة قطيعة جذرية مع تنوع القطاعات المجندة. بقيت المطالب مماثلة لتلك المعبر عنها أيام الجمعة مهما كان السلك الاجتماعي المجند، متكيفة معها ومتابعة ميولها نحو التصعيد. لهذا السبب يكمن أن ينطبق «التمثيل الموضوعي»²⁵ بشكل عملي، إذ يتعلق الأمر بتمثيل مصالح المرجع بطريقة تفاعلية. تصرف الممثل (المحتمل) بطريقة تتجنب الدخول في خلاف مع الممثلين. نحن هنا إذن أمام حالتين ممكنتين نظريا. تتعلق الأولى بالتمثيل التجريدي المنطبق لما تكون استشارة الممثلين أقل نفعاً ويتمتع فيها الممثل ببعض الاستقلالية. يبدو أن هذه الحالة لا تنطبق على الحراك. وعلى العكس، كلما اعتبرنا أن لا أحد يحدد مصالح الناس سواهم، كلما كان الممثل معتمدا على الممثلين. هذا الترتيب الثاني هو الذي اتسم به الرابطة الذي نشأ بين شخصيات الحراك الرمزية والانتفاضة الشعبية. كُلف الأولون بتحقيق مطالب الأخيرين دون استقلالية حقيقية.

لكن، وموازية مع أولوية الشخصيات الفردية المفضلة للتمثيل عبر التجسيد، بدأ فاعلون بالبروز، وكانوا أقل تجسيدا نوعا ما في شكل مجموعات ورابطات، إلخ²⁶، مشكلين بهذا نواة لقوى مستقبلية منتظمة من جمعيات وأحزاب سياسية. وتحالفوا غالبا مع منظمات موجودة من قبل، تفكر وتنشط في مجالات المواطنة والحريات الفردية والجماعية والتغيير السياسي²⁷.

كان لبعضهم وبكل وضوح هدف وضع فترة انتقالية تناقش آلياتها خلال ندوة جامعة تضم لجنة واسعة من شخصيات الحراك²⁸. وعمل آخرون على وضع خارطة طريق سياسية تتجاوز الانقسامات الأيديولوجية²⁹. وغزا البعض الآخر فضاءات محددة أكثر، مثل الأحياء والأسلاك (الجامعيين، الأطباء، الصحفيون...) لتغذية النقاشات وتنمية الوعي المواطنين والنضالي. وهكذا نشأت العديد من الشبكات لتحسين أعمال التضامن: استقبال المتظاهرين القادمين من ولايات أخرى ومساندة عائلات المعتقلين ماديا ومعنويا³⁰. وأصبحت مواقع وتطبيقات التواصل لا مفر منها، أمام استحالة ثم منع التجمعات انطلاقا من

Omar Berbiche, « Avancement des vacances universitaires : Hadjar veut déconnecter l'université de la contestation populaire », El Watan, 11 mars-23 2019, <https://www.elwatan.com/edition/actualite/avancement-des-vacances-universitaires-hadjar-veut-deconnecter-luniversite-de-la-contestation-populaire-11-03-2019>

²⁴ نذكر مثلا محمد تاجعديت في العاصمة وبراهيم لعلامي في برج بوعريبرج

²⁵ Hanna F. Pitkin, Samuel Hayat, « La représentation politique », Raisons politiques 2013/2 (N° 50), <https://www.cairn.info/revue-raisons-politiques-2013-2-page-35.htm#no1>, consulté le 31/12/2021

²⁶ نذكر كمثال تجمع المجتمع المدني من أجل الانتقال الديمقراطي، وديناميكيات المجتمع المدني في 15 جوان (2019)، والجهة السلمية للحراك الشعبي، ونداء 22، وتجمع الشباب الجزائري من أجل الديمقراطية، ومنبر الوطنيين الأحرار، واللجنة الجزائرية لمناهضة التعذيب وظروف السجن اللاإنسانية (CACTCII)، واللجنة الوطنية لتحرير المعتقلين (CNLD)، ومنندى التغيير، وتنسيقية الحراك، وأمانة، والCNUAC، والCNLTD، ووزاير 2.0، وFree Algeria... Hassan Zerrouky, « Hirak, la difficile relève politique », in La nouvelle Algérie, Pouvoirs, N° 176

²⁷ كأمثلة على ذلك، راج (Rassemblement Action Jeunesse)، و ACDA (العمل من أجل التغيير والديمقراطية في الجزائر)، والمقهى الأدبي في بجاية، وبيان الديمقراطية في الجزائر، والاتحاد النقابي للقوى المنتجة (COSYFOP)، و CSA (كونفدرالية النقابات المستقلة)، SOS Disparus، SOS Bab El Oued.

²⁸ مؤتمر ديناميكيات المجتمع المدني في 15 جوان 2019.

²⁹ بمناسبة الاحتفال بالذكرى الأولى للانتفاضة الشعبية، اجتمعت تجمعات من مختلف مناطق البلاد تحت اسم مبادرة 22 (مبادرة 22)، من أجل تنظيم مسيرة موحدة في قاعة كبيرة بالعاصمة. منح القاهمين على القاعة الإذن، على عكس السلطات المحلية التابعة لوزارة الداخلية التي رفضت قبل 48 ساعة من موعد التجمع. بعد بضعة أشهر من تقدمه وتحقق نفس الأهداف، مُنح نداء 22 من عقد مؤتمر صحفي في فندق خاص.

³⁰ على سبيل المثال، الهادي لعسولي، عضو في Collectif Initiative Citoyenne، هو مزارع منخرط في الحراك ومشارك في دعم العائلات المحتاجة بسبب الاعتقالات الأولى في صيف عام 2019، ثم بسبب الوباء الصحي. إلى جانب آخرين، استخدم وسائل التواصل الاجتماعي لتغذية شبكات التضامن. في جوان 2021، اعتقل ووضع رهن الحبس المؤقت بتهمة دعم جماعة إرهابية. <https://web.facebook.com/DIMATV222/videos/695581838420757>

أفريل 2020. ³¹ اتخذت الاجتماعات والنقاشات من المنصات الرقمية مقرا لها، وسمح ذلك بتوزيع واسع للحوارات وتفاعلا قويا مع الرأي العام. يلاحظ أيضا أن الدور الأساسي للجالية في غالبية المبادرات التي أطلقت محليا جعلت من الأنترنت مكانا للتفكير والنضال بامتياز.

تعزز كل هذه العناصر فرضية أن بروز فاعلين منظمين ومنتجين لمحتوى ترجمت تطور التمثيل نحو استبدال أكثر. ضف إلى هذا، وبطريقة معبر عنها بوضوح أو ضمنا، فقد شكل الكثير نواة لأحزاب سياسية أو نقابات أو جمعيات قيد الإنشاء. لم تخف هذه الملاحظة عن السلطات العمومية.

II التمثيل داخل الحراك : القيود الخارجية

عندما توقفت المسيرات في ماي 2021 بسبب القمع الهائل من جهة ورفض المتظاهرين الانسحاق نحو المواجهة العنيفة من جهة أخرى، بقيت مشكلة مسألة التمثيل. لجأت السلطات حينها لسياسة تهدف بوضوح إلى منع ظهور قوى منظمة. ضمت هذه السياسة طرقا ناعمة مثل الاسترجاع والاستمالة، بالإضافة إلى ترسانة قمعية بشدة متزايدة.

الطريقة الناعمة: استمالة وجوه الحراك

لطالما شكل استرجاع المعارضين استراتيجية مهمة لكي تحتويهم السلطة وتضرب مصداقية المعارضة. وبالمناسبة فهذا هو أحد أسباب الرفض القوي للتمثيل. إن هذه الاستمالة هي أحسن مثال عن الانفصام بين المطلب المستفيد الأولي (initial-in-terest-claim) والمصلحة الموضوعية النهائية (final-objective-interest) الذي نجده في التمثيل، سواء كان على مستوى الفرد أو على مستوى مجلس ³². بصفة عامة، تكون طريقة العمل نفسها. تمر الاستمالة عبر تقسيم المعارضين إلى ما يسمى بـ«المعتدلين» الذين يتأقلمون مع العرض السياسي، و«الراديكاليين» الذين يختارون المواجهة. تُسترجع بعد ذلك العناصر الأكثر انجذابا نحو السلطة والامتيازات، مبررين ذلك بقدرتهم على «تغيير النظام من الداخل».

بهذه الطريقة ولمحاربة المعارضة الإسلامية «الراديكالية» للجهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة في التسعينيات، استرجعت السلطات شخصيات من الحزب من خلال دمجهم في الحكومة. كان هذا حال سعيد غشي (وزير العمل في حكومة سيد أحمد غزالي والسفير الجزائري لدى المملكة العربية السعودية) وأحمد مراني (وزير في ثلاث حكومات متعاقبة منذ عام 1992 ثم عضو مجلس الأمة). في الوقت نفسه، روج مسؤولون جزائريون لمشاركة الإسلاميين «المعتدلين» من حركة مجتمع السلم في الحكومة، والتي لم يتركوها حتى 2012. وحل محلهم منشقون من حزب البناء.

مثال آخر بعد سنوات قليلة. لخلق انتفاضة المواطنين الديمقراطية التي اندلعت في ربيع الأمازيغ عام 2001، أعاد المسؤولون إحياء العروش «المعتدلين» (سلطة تقليدية) عبر وضعهم في مواجهة المناضلين «الراديكاليين» الشباب. وأضعفهم عبر الزيادة من حدة الانقسامات والخصومات الداخلية حتى حيدوهم من خلال مشاركتهم في الانتخابات. ³³

في إطار استرجاع احتجاج 22 فيفري السياسي، نشأ هذا الفصل بين المطلب الأولي، من جهة، وهو التغيير الجذري لنظام الحكم، ومن جهة أخرى، الهدف النهائي الذي أصبح المشاركة السياسية باسم التغيير من الداخل. وفي الحالة الثانية شجع رئيس جيل جديد المتظاهرين دون جدوى على مواصلة الحراك داخل المؤسسات عبر الانتخابات. كانت لجنة الحوار والوساطة بقيادة كريم يونس ³⁵ من أولى محاولات الاستمالة. التُمتت مشاركة شخصيات معروفة في الحراك، لأن وجودهم كان سيعطي هذه

³¹ للتوضيح، يقر إسلام بن عطية بأن التحضير لمشروعه لتشكيل حزب سياسي تم من خلال تنظيم ما معدله ثلاثة اجتماعات افتراضية في الأسبوع. Jeune Indépendant, 02/06/2020, <http://www.babalweb.net/info/417669-l-activiste-islam-benattia-au-ji-laquo-nous-militons-pour-un-parti-rassembleur-du-hirak-raquo.html>

Hanna F. Pitkin, Samuel Hayat, « La représentation politique », op cit, P14-³²

Inès M, « Marche des Arouch du 14 juin : Que deviennent les organisateurs du mouvement ? », 14 juin 2018, <https://www.express-dz.com/2018/06/14/marche-des-arouch-du-14-juin-que-deviennent-les-organisateur-du-mouvement>

³⁴ ترمز هذه الشخصية السياسية إلى الاستمالة حيث أن كريم يونس من منطقة القبائل وخاض الانتخابات التشريعية عام 2001 في تيزي وزو عندما كانت المنطقة في قبضة القمع الديموي. وعاد إلى صدارة المشهد عام 2019 بعد فترة تهميش طويلة بسبب دعمه لترشيح علي بن فليس عام 2004.

اللجنة بعض المصادقية وهذا بالضبط ما كان مطلوباً³⁶. وبالنظر إلى عدم توفر الحد الأدنى من الشروط، رفضوا الاقتراح، لأن مهمة اللجنة في النهاية كانت دعم التحضير للانتخابات الرئاسية في 12 ديسمبر 2019.

شكلت الانتخابات الرئاسية ثاني أهم أحداث الاستمالة، ولا سيما الحكومة الأولى التي أحدثت بعض المفاجآت. وهكذا، تم تعيين مليكة بن دودة ويوسف سحاييري وفرحات آيت علي وزيرة للثقافة ووزير دولة للصناعة السينماتوغرافية ووزيراً للصناعة على التوالي. كانت الأولى أستاذة فلسفة ومقدمة برنامج حوار على قناة تلفزيونية خاصة، وتميزت بمطالبها بتغيير سياسي عميق ومعارضة قوية للانتخابات الرئاسية في ديسمبر 2019. والثاني فنان كوميدي شهير، عارض أيضاً الانتخابات الرئاسية وشارك في الحراك. أما بالنسبة للثالث، فقد انتقد بشدة قبل شهور الرئيس الذي انضم إلى حكومته في نهاية المطاف. لكن بما أن رأس مال هذه الشخصيات كان إعلامياً أكثر منه نضالياً وسياسياً، فلم يكن لاسترجاعهم الأثر المتوقع وهو تقسيم الحراك وإضعافه.

استمرت محاولات الاستمالة مع العملية الانتخابية الهادفة إلى التطبيع المؤسسي. عززت العملية القاعدة القائلة بأن مهمة الانتخابات الجزائرية، منذ 1997، هي المحافظة على الوضع السياسي الراهن³⁷. وبالفعل، لم يحدث أي تناوب سياسي حقيقي، وبقي تمثيل المعارضة يشكل أقلية، إن لم نقل هامشياً. عملت الانتخابات في نهاية المطاف على إعادة تطوير القاعدة الاجتماعية للسلطة القائمة، من خلال إعادة توازن الوضع ودمج عملاء جدد. وهذا هو السبب في أن الانتخابات التي نُظمت بين ديسمبر 2019 ونوفمبر 2021 كانت محاولات للاستمالة وإغراءات للاستسلام لها. من بين شخصيات الحراك التي أغرتهم المغامرة، يمكن ذكر سمير بلعربي وكذلك الحركات السياسية الناتجة عن «المنتدى».

أصبح سمير بلعربي شخصية رئيسية في الانتفاضة الشعبية بفضل الاعتقالات وفترات السجن التي كان ضحيتها في عامي 2019 و2020.³⁸ يصف نفسه بالانتماء للتيار الإسلامي وشارك في العديد من اللقاءات والمبادرات الناتجة عن الحراك. ومع ذلك، فإن شعبيته تراجعت تدريجياً حيث أثارت أفعاله وتصريحاته التوافقية تساؤلات. أكد دعمه للسياسة الخارجية الرسمية وكشف عن إنشاء حزب سياسي محافظ وأعلن مشاركته في الانتخابات الرئاسية المقبلة³⁹. نشأ بعض التباعد مع فاعلين آخرين وانتهى بهم الأمر بتوبيخه سرا ثم علناً على موافقه⁴⁰. تخلى عنه رفقاء الدرب عندما قام بحملة لإنشاء حزبه السياسي في سياق القمع الشديد.

انفجر «المنتدى»، الذي كان جد نشطا منذ بداية الحراك، تحت ضغط الطموحات الحزبية التي تشكلت داخله وعلى رأسهم اثنين من قادته: إسلام بن عطية في الجزائر العاصمة وهاشم ساسي في خنشلة. صرح الأول علناً عن إنشاء حزب سياسي في أوائل عام 2020 وبدأ الإجراءات الإدارية للحصول على الموافقة: التيار الوطني الجديد (NCN). وكانت النتيجة المنطقية لهذا النهج هي المشاركة في الاقتراع الانتخابي، ولا سيما في الانتخابات التشريعية. ومع ذلك، لوقي طلب اعتماد NCN بالرفض ومنع المتحدث باسمه من استخدام اسم منظمة غير معتمدة. فعاد بعدها إلى الخطاب النقدي، رافضا عملية التطبيع المؤسسي جملة وتفصيلاً. لكنه لم يتخل من ناحية أخرى عن فكرة أن هيكلة الحراك في قوى سياسية هو الحل، بغض النظر عن جميع الشروط المسبقة، وأنه لا يوجد بديل محتمل للحوار مع من هم في السلطة⁴¹.

³⁶ سعيد صالح، نائب رئيس الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، ناصر جابي، باحث في علم الاجتماع، الياس مرابط، نقابي، بالإضافة إلى إسلام بن عطية، ناشط، تم الاتصال بهم. لكنهم فرضوا شروطاً من حيث الاستقلالية وأهداف اللجنة، مما دفعهم إلى رفض هذا الاقتراح. من ناحية أخرى، وافق إسماعيل لاماس، خبير الاقتصاد والشخصية النشطة في الحراك، على الانضمام إلى اللجنة. وغادرها بعد أيام قليلة، بعد أن رأى أن اللجنة كانت تهدف حصرياً إلى التحضير للانتخابات الرئاسية بناءً على أوامر من قائد الأركان آنذاك. من ناحية أخرى، بقيت المحامية فتيحة بن عبو، المعروفة بمعارضتها للعهد الرابع والمشاركة في عملية مازافران عام 2014، حتى النهاية.

³⁷ Rachid Tlemçani, « Algérie : autoritarisme électoral », Tumultes, 2012/1-2 (n° 38-39).

³⁸ تمير قبل بضع سنوات بمشاركته في الحركة المناهضة للعهد الرابع في عام 2014 وبشريط فيديو واجه فيه شكيب خليل (وزير الطاقة السابق).

³⁹ Lakhdar Nadji, « Samir Belarbi décide de créer un parti politique », Eljazzair Elyoum, 18 juin 2021, (en arabe), <https://www.aljazzairalyoum.com>.
dz/%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D9%82%D8%B1%D8%B1-%D8%A5%D9%86%D8%B4%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A

⁴⁰ كان سمير بلعربي هدفاً لحملة إعلامية نظمها المؤثرون واتهموه بالتفاوض مع السلطات السياسية على استمالاته.

⁴¹ كانت مسألة المتطلبات المسبقة مسألة مركزية تماماً في المقترحات الخروج من الأزمة التي أطلقها الفاعلون في المجتمع المدني. وهي: إطلاق سراح المعتقلين وإعادة تأهيلهم، وفتح وسائل الإعلام، واحترام حق التعبير والعمل السياسي الفردي والجماعي.

أما هاشم ساسي فهو أحد مؤسسي «المسار الجديد». في الواقع، كانت عملية الاستمالة أكثر نجاحًا معه مما كانت عليه مع رفيقه السابق، حيث استقبله رئيس الجمهورية في مارس 2021.⁴² وبالتعاون مع أعضاء التجمع الوطني الديمقراطي (RND) الذين دافعوا عن العهدة الخامسة، دعم المحامي العملية الانتخابية ونادى بشكل خاص إلى التصويت لصالح مراجعة الدستور في نوفمبر 2020.⁴³

يمكن ذكر أمثلة فردية أخرى، مثل السعيد إزري. فرض هذا الأخير نفسه في وسط الحراك كذراع أيمن للمجاهد المرحوم لخضر بورقعة حيث كان يتبعه أينما ذهب. لكن الرائد السابق في صفوف جيش التحرير الوطني كان يتمتع بشعبية كبيرة بفضل مواقفه الواضحة ضد القيادة العسكرية وبفضل رغبته في تغيير سياسي عميق. سبب له هذا الموقف، وهو يناهض سن الـ 87، حبسا لمدة ستة أشهر⁴⁴. وتوفي بعد فترة قصيرة من إطلاق سراحه في إطار عفو رئاسي، دون أن تعيد له العدالة الاعتبار. وفي نفس الوقت، غير السعيد إزري موقفه وانخرط في الانتخابات المنظمة في 2021 دون أن ينسى التمسك بماضيه في الحراك⁴⁵.

عكس ما تبديه المظاهر، فإن هذه الأمثلة لا تعني بأن الفاعلين في الحراك منعوا عن أنفسهم إمكانية تأسيس أحزاب سياسية. بل بالعكس، فقد كان هذا الطموح حاضرا ومعلنا عنه لدى العديد منهم⁴⁶. لكنهم اعتبروا أن للتوقيت أهمية حاسمة، سواء على المستوى الرمزي أو على المستوى العملي. بالنسبة للجانب الرمزي، اعتبر هؤلاء الفاعلون أن إنشاء حزب سياسي في حين ضاعفت السلطات من تنظيم الانتخابات باسم الحراك يساوي المشاركة في عملية استرجاع وإضفاء الشرعية عليها. أما الجانب العملي فيخص تقديرهم بأن الطرف القمعي وإغلاق فضاءات الحرية والتعبير الفردية والجماعية تشكل عائقا أساسيا، عائقا صار أكثر ردا إذ أن حتى الأحزاب السياسية المعتمدة منذ عشرات السنين لم يبق لها أي هامش مناورة.

وفيما يخص استمالة الأحزاب السياسية، فقد تحول حزب جيل جديد من فاعل أساسي في الاحتجاج السياسي إلى مناصر للتطبيع المؤسسي. عارض الحزب العهدة الرابعة وشارك في تنسيقية مازافران⁴⁷ وقاطع تشريعات 2017 ونشط في حركة مواطنة⁴⁸، ثم وجد نفسه فجأة حليفا لسلطة ما بعد بوتفليقة. يدافع جيل جديد عن فكرة «حراك مؤسسي» أي تبني استراتيجية الدخولية لإصلاح «النظام من الداخل». وهكذا أقر بانتخابات 12/12 الرئاسية دون أن يعترض عليها. ثم قبل دعوة رئيس الجمهورية⁴⁹ في إطار لقاء رافقته لقاءات أخرى مع رؤساء حزب البناء، عبد القادر بن قرينة، وجبهة المستقبل، عبد العزيز بلعيد، ما أدى إلى اضمحلال صورته داخل الحراك. مواصلا مسيرة الدخولية، شارك جيل جديد في الانتخابات التشريعية التي أضعفته بشدة إذ انتخب له مرشح واحد فقط⁵⁰. وأعاد الكرة بعد خمسة أشهر في الانتخابات المحلية وحصل على 64 مقعدا في المجالس البلدية و6 مقاعد في المجالس الولائية⁵¹. وللمقارنة، فقد حصلت جبهة المستقبل على 3262 و304 مقعد على التوالي. إن الهدف هو المقارنة بين حزبين سياسيين مسترجعين، واحد هيكليا منذ تأسيسه في 2012 والآخر ظرفيا.

42. Yasmine Marouf-Araib, « Abdelmadjid Tebboune poursuit ses consultations avec les partis politiques », Interlignes, 25 mars 2021, <https://www.inter-lignes.com/abdelmadjid-tebboune-poursuit-ses-consultations-avec-les-partis-politiques/>, consulté le 01/05/2022

43. فيديو يشرح فيه هاشم ساسي أسباب مشاركته في الحوار مع السلطات السياسية: https://www.youtube.com/watch?v=j_SqVbd_u8k

44. Massin Amrouni, « L'histoire de moudjahid Lekhdar Bouregaa », 31 octobre 2019, <https://www.algerie360.com/lhistoire-du-moudjahid-lak-hdar-bouregaa/>, consulté le 01/05/2022

45. Cherif Leib, « Saïd Irzi : « on sera la voix du Hirak au parlement », Algérie 360, 23 mai 2021, <https://www.algerie360.com/said-irzi-on-sera-la-voix-du-hirak-au-parlement/>

46. مقابلات أجرتها المؤلفة مع مبادري العديد من مجموعات الحراك التقدمية والمحافظية. غادر بعضهم الجزائر خوفا من السجن، واعتقل آخرون وواجهوا ضغوطا قانونية.
47. تنسيقية الأحزاب السياسية متعددة الأيديولوجيات التي نشأت في أعقاب المقاطعة الجماعية للانتخابات الرئاسية لعام 2014. ودافعت عن فكرة الانتقال الديمقراطي المنظم والمتفاوض عليه.

48. مواطنة هي مبادرة سياسية جمعت نشطاء وصحفيين وأكاديميين وأحزاب معارضة بهدف رئيسي هو معارضة حكم عبد العزيز بوتفليقة.

49. APS, « Le Président de la République reçoit le président du parti Jil Jadid », 14 janvier 2020

50. Merzouk Abdeleziz, « Élections législatives : le pari perdu de Jil Jadid », Algérie360, 16 juin 2021, <https://www.algerie360.com/elections-legislatives-le-pari-perdu-de-jil-jadid/>

51. APS, « Élections locales : les résultats définitifs confirment le parti du FLN à la première place », 22 décembre 2021

وفي هذا الصدد، جاءت مشاركة جبهة القوى الاشتراكية في الانتخابات البلدية بعد مقاطعة للانتخابات التشريعية توصل إليها بصعوبة. رفض ترك إدارة البلديات لخصومه وحصل في الأخير على 898 مقعداً فقط في المجالس البلدية و40 مقعداً في المجالس الولائية⁵². يبقى تقييم هذه المشاركة محلاً للنقاش، سواء من وجهة نظر نتائجها أو من وجهة نظر تنظيمها. وبالفعل، فلا مجال للمقارنة بين عدد المقاعد التي حصل عليها وتلك التي نالتها الأحزاب التي جاءت في المقدمة. إضافة إلى ذلك، اشتكى الحزب من أنه رأى العديد من قوائمهم ومرشحيه يرفضون من قبل المخابرات لأسباب غير مبررة.⁵³

اعتمدت محاولات استمالة ممثلي الحراك على حجج سياسية وأيديولوجية تحولت إلى رواية رسمية. وهكذا، طوال عام 2019، حذرت السلطات القائمة من فكرة فترة انتقالية عملت على شيطنتها. وبإحياء مخاوف الماضي، جعلت الحفاظ على الإطار الدستوري شرطاً لا غنى عنه للحفاظ على الدولة، ما جعل من مؤيدي التحول الديمقراطي أعداء للدولة.

القمع عبر تجريم الحراك

اشتدت عملية قمع الانتفاضة الشعبية مع تعدد المتابعات القضائية والاعتقالات وقرارات الحبس الاحتياطي والإدانات. بين فيفري 2019 وفيفري 2022، وقعت آلاف المتابعات القضائية وقرارات الحبس الاحتياطي ومئات الإدانات في حق المناضلين ونشطاء الحراك. وأكد بوزيد لزهاري، رئيس المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ضمناً وجود معتقلي الرأي عندما صرح في ديسمبر 2021 أن 18000 مسجوناً أُطلق سراحهم، بينهم عدد من معتقلي الرأي⁵⁴.

وتتمثل الملاحظات في أغلب القضايا في: «المساس بالوحدة الوطنية»، و«المساس بالروح المعنوية للجيش»، و«تعريض النظام العام للخطر»، و«التجمهر غير المسلح»⁵⁵. ومست الكثير من هذه الاعتقالات أشخاصاً غير معروفين، ولكن أيضاً صحفيين وطلاب وأكاديميين ومحامين ونشطاء معروفين في الحراك.

واستندت هذه السياسة القمعية إلى ترسانة قانونية غير مسبوقة، بما في ذلك تعديلات على قانون العقوبات⁵⁶، صدرت بأمر رئاسي⁵⁷، وتبناها دون مناقشة المجلس الشعبي المنتخب خلال العهدة الرابعة لعبد العزيز بوتفليقة⁵⁸. كما تضمنت هذه الترسنة اللجوء إلى تجريم الحراك، والتحول الديمقراطي، فضلاً عن الإفراط في إدارته الأمنية، عبر القرار المفاجئ للمجلس الأعلى للأمن بتحديث التهديد الإرهابي. وهكذا، بعد عشرين عاماً من سردية زعم فيها المسؤولون أنهم هزموا التهديد الإرهابي، والذي تحول إلى خطر «متبقي»، أصبحت الجزائر مهددة مرة أخرى. وقد تضاعف هذا التهديد حسبهم، لأنه لم يعد فقط سياسياً دينياً (رشاد)، بل هوياتياً أيضاً⁵⁹ (MAK).

52 Samir Leslous, « Résultats des élections communales », 30 Novembre 2021, <https://www.aps.dz/algerie/132036-locales-la-participation-du-ffs-aux-elections-est-une-reussite>

53 اشتكى عدد من الأحزاب السياسية من هذه الظاهرة، مشيرين إلى أن العديد من هؤلاء «المستبعدين» من الانتخابات شاركوا في مظاهرات الحراك. «Algérie – locales anticipées : 34% des candidatures rejetées par l'autorité des élections », 02.11.2021, <https://www.aa.com.tr/fr/afrique/alg%C3%A9rie-locales-anticip%C3%A9es-34-des-candidatures-rejet%C3%A9es-par-l-autorit%C3%A9-des-%C3%A9lections/2409974>, Ali Boukhlef, « Les partis dénoncent le rejet massif des dossiers de candidature aux locales », Liberté, 21/10/2021

54 Bouzid Lazhari, <https://cndh.org.dz/FR/index.php/en/espace-medias/videotheque/item/973-18-milles-detenus-beneficient-de-l-amnistie-y-com> -54 /pris-les-prisonniers-d-opinion/en

55 كانت الرغبة في إنهاء التظاهرات الشعبية قوية لدرجة أن المتظاهرين المعتقلين عام 2021 واجهوا ضغوط لتوقيع تعهد يمنعهم من المشاركة في مسيرات الحراك. وقد استنكر القانونيون هذه الوثيقة ووصفوها بأنها غير قانونية ومخالفة للمبادئ المنصوص عليها في الدستور.

56 APS, « L'amendement du Code pénal vise l'incrimination de nouvelles formes de criminalité », 21/04/2020-56 Jordana Dray, « La réforme du Code pénal algérien et ses conséquences », <https://www.village-justice.com/articles/reforme-code-penal-algerien-ses-sequences,35903.html>

57 Commentaires de plusieurs organes de l'ONU sur les lois relatives à la lutte antiterroriste, Palais des Nations, 1211 Geneva 10, Switzerland, Ol Dza-57 12/2021, <https://algeria-watch.org/wp-content/uploads/2022/01/DownLoadPublicCommunicationFile.pdf>

58 يعود هذه التدقيق إلى حقيقة أن الهيئة التشريعية 2017-2021 كانت في قلب العديد من الفضائح التي كشفت عنها الصحافة، وأيضاً أثناء محاكمات السياسيين ورجال الأعمال. وهذا أيضاً هو السبب المذكور رسمياً لتنظيم الانتخابات التشريعية المبكرة في 12 جوان 2021.

59 /Amine Ait, « Journal officiel : un numéro disparaît les radars », 21 février 2022, Algérie360, <https://www.algerie360.com> journal-officiel-un-numero-disparait-des-radars/ Journal officiel, Numéro 11, 13 février 2022

القمع عبر التشنيع: عودة قاموس مكافحة الإرهاب

يمثل عام 2021 نقطة تحول مهمة في العملية القمعية، من حيث عودة السلطات إلى سرديّة التهديد الإرهابي، ليس المتبقي، بل الوشيك. يظهر في القائمة الجديدة للمنظمات والأشخاص الموصوفين بالإرهابيين، حركة رشاد وقادتها،⁶⁰ MAK العديد من المناضلين من منطقة القبائل وكذلك مؤثرين على موقع يوتيوب دون انتماءات سياسية معروفة، ولكنهم ملتزمون بدعم الحراك.

رشاد هي جمعية كانت موجودة قبل اندلاع الانتفاضة الشعبية، لكن سمعتها نمت بشكل كبير منذ ذلك الحين. تنتهج منطقاً احتجاجياً غير عنيف، ويدعمها تلفزيون (المغربية) الذي غطى أحداث الحراك دون انقطاع، في وقت كان المجال الإعلامي ينغلق ويزداد القمع، لم تجد رشاد صعوبة في الظهور، في نظر جزء من الرأي العام كواحد من ممثلي الحراك المنظمين. من ناحية أخرى، فإن تغطيتها الإعلامية المبالغ بها باعتبارها وريثاً للجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة أيقظت مخاوف جزء من المجتمع. بعد تعرضه لصدمة من العنف في التسعينيات، عاش هذا الأخير تأثير رشاد باعتباره التفافاً عن الحراك وتهديداً للقيم التي يدافع عنها⁶¹. ومن خلال اتخاذ قرار بتصنيف الجمعية على أنها إرهابية، حاولت السلطات منطقياً الاستثمار في هذا الشرخ وتعميقه.

وفيما يتعلق بالـ MAK، يجب وضع ملاحظة أولية تتعلق باستبعاد الحركة من الحراك بسبب الطابع الوجودي للانتفاضة والطابع الانفصالي للمنظمة. ومع ذلك، وبعد التسامح معها لسنوات⁶²، صُنِّفت فجأة على أنها منظمة إرهابية. في الوقت نفسه، نُسب بعض مناضلي الحراك إليها، ما برر بصفة رجعية موجة اعتقالات في منطقة القبائل. أدى هذا إلى اعتقال مؤيدين سابقين أو حاليين للـ MAK ومناضلين لا صلة لهم بها⁶³. عزز هذا النطاق الواسع من المستهدفين الفرضية القائلة بأن المبالغة في الحديث الإعلامي عن الـ MAK وشيطنته استهدفت المنطقة أكثر من المنظمة. عبر محاولة تحويل حركة أقلية إلى كبش فداء في نظر الرأي العام⁶⁴، هل حاولت السلطات دفع جزء من منطقة القبائل إلى التطرف الذي سيعزلها عن بقية البلاد؟ تستند هذه الفرضية إلى حقيقتين حديثتين على الأقل. أولاً، أن القبائل هي المنطقة التي قاوم فيها متظاهرو الحراك فترة طويلة بعد أن أجبرت المناطق الأخرى على وقف المسيرات. علاوة على ذلك، وعلى مدى عدة أيام جمعة متتالية، جاء المتظاهرون من عدة ولايات في البلاد للتظاهر في تيزي وزو وبجاية. وصاحبت هذه المقاومة حقيقة أخرى، ألا وهي نجاح الاحتجاجات المنظمة (إضرابات عامة، مقاطعة عامة، إلخ) في هذه المنطقة⁶⁵.

ثانياً، دعونا نذكر مأساة صيف 2021. بينما كان جزء من منطقة القبائل مشتتاً حرفياً تحت تأثير عشرات الحرائق التي دمرت القرى والجبال، اغتيل جمال بن سماعيل في الأربعاء 11 أيار/مايو 2021. وقع الحدث في ظروف فظيعة ومشوشة، وارتكبت هذه الجريمة في خضم تجند وطني غير مسبوق للمتطوعين. كان جمال بن سماعيل واحداً من العديد من المتطوعين الذين انتقلوا من جميع أنحاء البلاد لمساعدة القرويين على محاربة ألسنة اللهب المدمرة. وكان أيضاً ناشطاً في الحراك معروفاً في منطقته الأصلية مليانة⁶⁷. تجاوزت خطورة هذه المأساة، وعلى الفو، النطاق الفردي لتصبح أزمة وطنية كبرى، بعواقب وخيمة محتملة. كان هناك في الواقع خطر اندلاع سلسلة من أعمال عنف وتناحر بين الضحايا «العرب» المطالبين بالعدالة (و/أو الانتقام) من ناحية، ومن ناحية أخرى، «القبائل» المخطفون، غير أنهم يستنكرون مؤامرة لوصم المنطقة وشيطنتها وعزلها. وفي مواجهة اقتراب

⁶⁰ الوجه الأكثر ظهوراً إعلامياً للحركة هم محمد العربي زيطوط في بريطانيا، مراد دهينة ورشيد مسلي في سويسرا، يحيى مخيوبة في فرنسا

⁶¹ مقابلات أجرتها المؤلفة مع نشطاء ينتمون للحركة التقدمية.

في العاصمة، ظهر تأثير هذه المخاوف المتجددة في تراجع تأثير المظاهرات المنطلقة من شارع ديدوش مراد.

⁶² Mohand Tilmatine, « Des revendications linguistiques aux projets d'autodétermination : le cas de la Kabylie (Algérie) », Maktabat el Maghreb, Centre Jacques Berque, <https://books.openedition.org/cjb/1359?lang=fr>

⁶³ مقابلات المؤلفة مع عدد من الفاعلين الجمعويين في منطقة القبائل (تيزي وزو وبجاية).

⁶⁴ Kamel Daoud, « Lutter contre le MAK : une méthode à grands risques », Liberté, 16-09-2021 ; « Algérie : le mouvement séparatiste MAK ciblé par les autorités », Middle East Eye, 16/09/2021 <https://www.middleeasteye.net/fr/actu-et-enquetes/algérie-arrestations-mouvement-separatiste-kabylie-mak-cible-autorites-justice>, consulté le 20/02/2022

⁶⁵ Mourad Slimani, « Grève générale et eaux troubles », El Watan, 11 décembre 2019, <https://www.elwatan.com/edition/actualite/greve-generale-et-eaux-troubles-11-12-2019>, consulté le 02/05/2022

⁶⁶ أصبحت الأربعاء 11 أيار/مايو المقر الرئيسي لتعبئة المواطنين ضد حرائق منطقة القبائل. اعتُقل جمال بن سماعيل في ظروف غامضة من حيث تناقض روايات الشرطة والسلطات القضائية والعسكرية (الدرك). تم اغتياله وحرقت رفاته وسط حشد غاضب انتقامي ظن أن جمال بن سماعيل كان من أحد مضمري النيران.

⁶⁷ بشكل ملحوظ، تجندت الشبكات المنسوجة في الحراك بشكل فعال أيضاً لمكافحة الحرائق في منطقة القبائل، ولكن أيضاً لمساعدة المرضى الذين يعانون من كوفيد 19. كانت الموجة الرابعة (صيف 2021) مميتة بشكل خاص، لا سيما بسبب أزمة الإمداد بالأكسجين عندما كان العلاج

السيناريو الأسوأ، تدخل نور الدين بن سماعيل، والد المتوفى، على الفور على مواقع التواصل الاجتماعي، وأماط اللوم عن مجتمع القبائل ومنطقتهم، ودحض دعوات الكراهية ووأد في المهدي أي مطالب للانتقام. استطاع كل من ذهب إلى مليانة لتقديم التعازي للعائلة أن يرى حكمة وبقظة ووعي الأب والأقارب في مواجهة مخاطر الوضع. وأكثر من ذلك، أعرب جيران المتوفى وأصدقائه صراحةً عن عدم تصديقهم للروايات الرسمية للحادثة. في نهاية الأمر، كان عمل المواطنين الذين اعتمدوا على وسائل صحافة تقليدية هو الذي أوقف مخاطر الانزلاق وأصلح بين المجتمعين.

III التمثيل داخل الحراك : العوائق الداخلية

لم يكن القمع والاستيعاب العنصرين الوحيدين اللذين يفسران الصعوبات المرتبطة بالتمثيل. يرتبط ظهوره كموضوع محظور ارتباطاً مباشراً بالخصائص الجوهرية للانتفاضة 02/22. وبالفعل، فقد حرص كل المحتوى المتعلق بالمقترحات والمبادرات السياسية في إطار إجراءات منسقة على الإشارة إلى أن مؤلفيها «لا يتحدثون باسم الحراك» وأن الغرض من مبادراتهم «ليس تمثيله». هذه الصيغ الأساسية أصبحت تعهداً بحسن النية قدم إلى الحراك الذي يمثل نفسه، حيث هتف المتظاهرون برفضهم التمثيل.

لماذا حافظ قادة الحراك الرمزيون على مثل هذه العلاقة غير المستقرة مع التمثيل، على الرغم من المخاطر التي اتخذوها ومدى التزامهم الشخصي؟ ما هي الأسباب الكامنة في الانتفاضة الشعبية وفعاليتها التي تفسر ظهور التمثيل على أنه «تحد معقد»؟

• البحث عن الإجماع في وجه المنافسة

كما ذكرنا سابقاً، شهد الحراك نوعين أساسيين من المبادرات السياسية: تلك التي تجمعت معاً حسب التقارب، والتي تظهر انتماءً أيديولوجياً مشتركاً (تقدمياً أو محافظاً)؛ مقابل المبادرات الموحدّة، التي اختارت تجاوز الخلافات والجمع بين قوى المعارضة.

تقوم هذه الفئة الثانية، مجتمعة في تنوع الشخصيات الرمزية والقوى النشطة، على حجتين أساسيتين:

- الحراك انتفاضة متنوعة، ترفض الاستقطاب الإيديولوجي،
- تقود السلمية إلى الحل السياسي الذي يشترط وجود ميزان قوى مناسب،

عند وضعهما جنباً إلى جنب، فإن هذين الافتراضين (الطابع المتعدد أيديولوجيا والسبيل السلمي) يؤديان إلى محاولات لتوحيد القوى النشطة حول قاعدة مشتركة من أجل أن تكون أقوى عند تنفيذ الحل السياسي، أي التفاوض مع أصحاب السلطة السياسية.

وقد جرت بالفعل مفاوضات طويلة وصعبة رافقت هذه المبادرات⁶⁸. اعتمد المبادرون في هذه الإجراءات على ثلاث أفكار قوية:

- الهدف: تغيير طبيعة النظام المعمول به بشكل جذري
- الأداة: التفاوض هو وسيلة تحقيق التغيير السياسي السلمي
- الطريقة: خلق مساحة وساطة موحدة تكمن قوتها في ترسخها في الحراك التعددي.

⁶⁸ على سبيل المثال: ديناميات المجتمع المدني في جوان 2019، مبادرة 22، نداء 22

اصطدم هذا النهج بمنافسة مزدوجة: بين رموز الحراك وبين الانتماءات الأيديولوجية.

بالنسبة للمنافسة الأولى، لا شك في أن التظاهرات الشعبية عززت شعبية بعض النشطاء والشخصيات العامة. استجوبتهم الجموع وأحاطت بهم وساءلتهم وشكرتهم وانتقدتهم، وقاموا هم بالبحث المباشر على مواقع التواصل وتدخلوا في وسائل الإعلام (قبل الرقابة)، ونشطوا الندوات وتنقلوا إلى ربوع البلاد. سعى المتظاهرون والأتباع للحصول منهم على إجابات لأسئلة لديهم. ماذا نفعل بالإضافة إلى التظاهر؟ ما هي الحلول التي نقدمها؟ هل نتفاوض مع السلطات السياسية؟ أي خارطة طريق للانتقال الديمقراطي؟ باختصار، التمسّت أجوبتهم كثيرا لدرجة أنهم أصبحوا «شخصيات وطنية» أو «نخبة الحراك»⁶⁹. كان ينتظر منهم الكثير. وبالتالي، كان من المفترض أن يكونوا على الأقل أعضاء أساسيين في المبادرات السياسية التي أطلقت، وعلى الأكثر أن يكونوا هم المبادرين بها. لكن تبين أن المهمة أصعب بكثير مما تبدو عليه لأنهم، حتى لو كانوا في المظهر يسعون جميعًا إلى نفس الهدف، أي تحقيق تغيير سياسي حقيقي، إلا أن الطريقة التي يجب اتباعها صعبة التنفيذ للغاية. فما أسباب ذلك؟

قد يتعلق السبب الأول بالشرعية النسبية لهذه الشخصيات. ورغم شعبيتهم إلا أنهم لم يفرضوا أنفسهم عبر مساهمتهم بشكل مباشر في اندلاع الحراك أو كونهم مصدر شعاراته، ومساراته، وهتافاته، ولافئاته. وبالتالي، خشي كل منهم أن يتهم بالانتهازية والرغبة في «ركوب الموجة»⁷⁰ أو أسوأ من ذلك: الالتفاف على الانتفاضة الشعبية.

ويترتب عن غياب أبوة مطلقة لانطلاق الحراك انقسام الشرعية بين من ساهم في منحه على الأقل صوتًا، أو خطابًا، أو مشاريع، في غياب قيادة. وهكذا، شعر كل منهم بأنه لا يمكن الاستغناء عنه على رقعة الشطرنج الحراكي لدرجة أن عملاً رمزياً مثل جعلهم يسرون معاً على رأس موكب أصبح تحديًا. وصار جمعهم كلهم حول نفس الطاولة تحديًا أكبر. أما بالنسبة لحملهم على الاتفاق على جدول أعمال، ثم على نص يعد مشروعًا سياسيًا، فقد صارت المهمة شاقة. وحتى وإن تم التغلب على العقبات الأولى، فإن استمرار النهج السياسي بامتداد ملموس ودائم بات يشكل القشة التي قصمت ظهر البعير.

يتعلق السبب الثاني للمنافسة حول القيادة بالتجارب السابقة. كشفت الانتفاضة الشعبية عن شخصيات عامة تعرف في الغالب بعضها البعض جيدًا. كانوا ناشطين، قبل اندلاع الحراك، في الأحزاب السياسية، أو منظمات حقوق الإنسان، أو الجمعيات، أو الشبكات المؤقتة، أو بشكل فردي. لذلك فإن تجربتهم السابقة هي رصيد لا يحى فيه التاريخ. يصير هذا الجانب صحيحًا بشكل خاص داخل بعض الأحزاب السياسية. وهكذا اصطدم التعاون بين حركة مجتمع السلم وحزب العدالة والتنمية بزعامة عبد الله جاب الله في إطار مبادرة عين البنيان بالتنافس الأبدى بين تشكيلتين تتنازعان التمثيل الحصري لجماعة الإخوان المسلمين في الجزائر. ولم يصل الأرسيدى وجيل جديد⁷¹ إلى أرضية مشتركة، فالأخير يلوم الأول على مشاركته في الانتخابات التشريعية لعام 2017. وفيما يخص الأفراد، فيجب أخذ إثر القمع والاعتقالات التي طالت القادة بداية من سبتمبر 2019. أدت هذه الاعتقالات، بشكل غير مفاجئ، إلى نمو شعبية الضحايا لدى الرأي العام. فرفع المتظاهرون صورهم وهتفوا بأسمائهم وطالب الآلاف بالإفراج عنهم. عززت «شرعية السجون»⁷² أحيانًا غرور الزمرة الصغيرة المشكلة من المعتقلين ومحاميهم.

اصطدم في الأخير العمل الجماعي اللازم للفعل السياسي بالغرور الذي نفخه الحراك رغما عنه. صرح أحدهم يوما ما بعد لقاء مليء بالغيابات: «سيهتف الحراك يوما «يتنحوا قاع»، متكلما عنا!»⁷³

وبالإضافة إلى تنافس الشرعيات، ظهر التنافس الأيديولوجي كعائق مهم. تطلب كل نص صدر من هذه الفئة من المبادرات أسابيعا من المشاورات والمناقشات والكتابة وإعادة الكتابة قبل أن تصادق عليه العديد من المجموعات والجمعيات المشاركة. وجب أن تتم الموافقة على كل كلمة من قبل جهات فاعلة مختلفة الحساسيات. حُدِّدت تدريجيًا بعض العقبات وأزيلت لتصبح النصوص توافقية حقًا. كان هذا حال مفهوم «الانتقال» على سبيل المثال الذي شيطنه المسؤولون في عام 2019. وفي

⁶⁹ استخدم هذا اللقب كثيرًا في الحراك للإشارة إلى الجهات الفاعلة الأساسية للحراك تقريبًا. إنهم محامون ونشطاء في الأحزاب السياسية وحقوق الإنسان وصحفيون وأكاديميون من جميع المعتقدات.

⁷⁰ ركوب الموجة: اتهام شعبي يوجه لكل عمل يرى على أنه محاولة الاستفادة شخصيًا من الانتفاضة الشعبية.

⁷¹ استخدم هذا اللقب كثيرًا في الحراك للإشارة إلى الجهات الفاعلة الأساسية للحراك تقريبًا. إنهم محامون ونشطاء في الأحزاب السياسية وحقوق الإنسان وصحفيون وأكاديميون من جميع المعتقدات.

⁷² ركوب الموجة: اتهام شعبي يوجه لكل عمل يرى على أنه محاولة الاستفادة شخصيًا من الانتفاضة الشعبية.

⁷³ لقاء بين شخصيات الحراك حضرته المؤلفة

قضايا أخرى، بنيت حلول وسط قوية. وهكذا، فإن أولئك الذين رأوا في مفهوم «الفترة الانتقالية التوافقية» دعوة غير بريئة للمفاوضات المتسارعة طمأنتهم الشروط المعبر عنها صراحة قبل أي التزام بعملية التفاوض. وبقيت القضايا الخلافية التي تمكن الفاعلون من تجنبها مؤقتاً أو تأجيلها، مثل مكانة المرأة ومكانة الدين والتسعينيات.

شكلت هذه الأسئلة الأخيرة أكبر الصعوبات⁷⁴. عارض تياران كل منهما الآخر حول الموضوع الأول. أراد الأول أن يجعل إدراج المساواة بين الرجل والمرأة شرطاً مطلقاً لأي عضوية سياسية، وظهر ذلك من خلال مربع النسويات في المسيرات. أما الثاني فقد رفض هذه الصيغة ورأى فيها إعادة نظر في قدسية القواعد الدينية (الإرث على وجه الخصوص). وعندما كان التوصل إلى حل وسط ممكناً، كانت الصيغة المعتمدة تتمثل في النهاية في ذكر «المساواة بين الرجل والمرأة في إطار دولة قانون ديمقراطية»⁷⁵. ومع ذلك، فقد كان حلاً وسطاً رفضت بعض المنظمات النسوية مثل وسيلة وجزائريتنا الالتزام به. يعتمد هذا الرفض أساساً على الحجة القائلة بأن النسويات قبلن تأجيل مطالبهن لفترة ما بعد الاستقلال خلال حرب التحرير، من أجل تشكيل جبهة موحدة ضد القوة الاستعمارية. لكنهم يعتبرون أن هذا «الاتحاد المقدس» كان على حسابهم، طالما أن الحكام لم يستجيبوا أبداً لمطالبهم.

كان السؤال الثاني المثير للانقسام هو بلا شك ذاكرة التسعينيات من خلال مشاركة أو عدم مشاركة الشخصيات السابقة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة أو رشاد. بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة هي المسؤولة الوحيدة عن أعمال العنف في التسعينيات، فإن وجودها بأي شكل كان غير مقبول. وعلى الجانب الآخر من الطيف، قدم أولئك الذين يدافعون عن إدراج هذا التيار حجتين: أولاً، يزعمون أن المسؤولية الأساسية عن عنف التسعينيات تقع على عاتق أولئك الذين رفضوا تطبيق القواعد الديمقراطية؛ ثم يجادلون بأن وجود هذه الشخصيات في الحراك لا يمكن إنكاره. تمثلت التسوية التي تم التوصل إليها بشأن هذه القضية بعد ذلك في التماس مشاركة شخصيات إسلامية قريبة من هذا التيار، دون أن تكون متورطة في ماساة التسعينيات⁷⁶. أما بالنسبة للقضايا الحساسة التي لم توضح بعد والسعي المشروع إلى الحقيقة، فإن التسوية تمثلت في التعامل معها في إطار نقاش وطني وحر وشفاف تضمنه مؤسسات شرعية ومستقلة.⁷⁷

أصبحت عملية التقارب هذه أكثر صعوبة عندما قررت السلطات تجريم مناصلي الحراك ثم اتهمت بعضهم بالإرهاب⁷⁸. توحى استراتيجية القمع المشنّع هذه بأن الهدف كان التفرقة بين مجموعات الفاعلين، وعزلهم عن بعضهم البعض من أجل منع أي تقارب. علاوة على ذلك، كانت إحدى النتائج المباشرة لهذا التشنيع هي تزويد معارضي التقارب العابر للأيديولوجيات بحجة إضافية. لم تعد هذه المعارضة أيديولوجية فحسب، بل أصبحت براغماتية، إذ أن أي محاولة للاقترب من جماعة توصف الآن بالإرهابية ضاعفت من المخاطر عشرة أضعاف، بالإضافة إلى بقاء الصعوبات الأولية.

ثانياً، أتاح هذا التجريم المشنّع للمتعاطفين مع رشاد فرصة إضافية لتقمص دور الضحية وإثبات أن مسؤولي ما بعد 2019 ينتهجون نفس السياسة التي كانت سائدة في التسعينيات، مع نفس النتائج المأساوية في النهاية. لكن السردية التي تقول أن أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة هم الضحايا الحصريون للعنف في التسعينيات هي رواية مثيرة للجدل على أقل تقدير وتعتبر محرّفة للتاريخ من قبل أولئك الذين يدافعون عن استراتيجيات التقارب.

اصطدم الانتقال من التمثيل التجسدي إلى التمثيل الاستبدالي بالسعي إلى إجماع معقد، ولكن أيضاً بطبيعة التعبئة ذاتها.

● الشارح كمرجع: «بطل واحد هو الشعب»

⁷⁴. يعتمد التحليل التالي على ملاحظة المؤلفة للعديد من مبادرات المواطنين خلال الحراك.

⁷⁵. تم الوصول على هذا الحل الوسط في بيان 22 فيفري (الذي نُشر بمناسبة الذكرى الأولى للحراك) و نداء 22.

⁷⁶. في وسط هذا الجدل أدلى أحد قادة رشاد، مراد دهينة، ببيان دعا فيه المعارضة إلى الوحدة وإلى انسحاب قيادات رشاد.

⁷⁷. إعلان مبادئ من أجل حشد سلمي الصادر في 22 فيفري 2022.

⁷⁸. L'article 87 bis de l'ordonnance n° 21-08 du 8 juin 2021 modifiant et complétant l'ordonnance n° 66-156 du 8 juin 1966 portant code pénal, a été publié au journal officiel n°45. Il stipule : « Est considéré comme acte terroriste ou sabotage, tout acte visant la sûreté de l'État, l'unité nationale et la stabilité et le fonctionnement normal des institutions par toute action ayant pour objet de : (...) œuvrer ou inciter, par quelque moyen que ce soit, à accéder au pouvoir ou à changer le système de gouvernance par des moyens non constitutionnels ; porter atteinte à l'intégrité du territoire national

في مواجهة هشاشة شخصيات الحراك، زادت قوة الشارع الذي استرجعه المتظاهرون. أعطت مظاهرات الحراك وجوداً جديداً وغير مسبوق للشعب (المجنّد)، لأنه ملموس وحقيقي وخالي من الوسطاء. كان رفض التمثيل يعني رفض الانسحاب أو الاختفاء أو الإخفاء من قبل الآخرين، لأنه في التمثيل يختفي الممثل ولا يوجد. ومع ذلك، فإن الجزائريين الذين تظاهروا، من كل الأجيال، استمتعوا بحقيقة أنهم موجودون. إنهم موجودون في تجسيد لحركة احتجاجية جديدة تمامًا تعيد إلى الخارج صورة مجزية تقدّم كنموذج⁷⁹. إنهم موجودون عندما يشغلون الأماكن العامة، يلوحون بلافتاتهم ويرددون رسائلهم. إنهم موجودون في إدراكهم الكامل لما يريدون، وهو العيش باحترام الحريات الفردية والجماعية، وفي إدراكهم التام لما يرفضونه بشكل قاطع، وهو الحكم القائم على الفساد والمحسوبية. إنهم موجودون في تصميمهم على أن يكونوا جزءاً من الحل وألا يكونوا بعد الآن دمية في أيدي أولئك الذين يقررون عنهم. في هذا الصدد، أوضح حدثان رمزيان ظاهرة التجسد الشعبي هذه. كان ذلك خلال الاحتفال -غير المسبوق - بعيد الاستقلال في 5 جويلية 2019 وبذكرى اندلاع حرب التحرير في الفاتح من نوفمبر التالي⁸⁰

جاءت هذه الإرادة الشعبية لتجسيد الانتفاضة أيضاً من حقيقة أن المتظاهرين تنظموا ذاتياً من خلال مجموعات صغيرة من المواطنين مدفوعة بنفس الحماس ونفس الإرادة. خلال الأشهر الأولى من الانتفاضة الشعبية، قاموا بتأمين الطرق، وإنشاء أطواق أمنية، وإنشاء متراس مع الشرطة، وتقديم خدمات الإسعافات الأولية، وتنظيف الشوارع، وضمان السكن والطعام لأولئك الذين قدموا من ولايات أخرى، وتنشيط نقاشات شعبية في الشارع...⁸¹

تمت كل هذه الأعمال على أساس مبدأ التطوع والتواصل وفق مبدأ الأفقية المقدسة. أحد أكثر مظاهر هذه الأفقية دلالة هو خراطة. تقع المدينة على بعد أقل من 320 كيلومترا من العاصمة، وهي رمز النضال من أجل الاستقلال، وواحدة من مهد الحراك حيث بدأت المظاهرات ضد العهدة الخامسة هناك في 16 فيفري. وأصبحت رمزاً لذلك، لأنه بالإضافة إلى يوم الجمعة، جعل سكانها يوم السبت يوماً إضافياً للتظاهرات الشعبية والسلمية. وأصبحت خراطة أيضاً محطة أساسية للمتظاهرين من الولايات الأخرى. على الرغم من هذه الشحنة الرمزية وهذه الشرعية، لم تسمح المنطقة بظهور قيادة يرّجح انتشارها. وبما أن السكان المحليين تنظموا ذاتياً، فقد ظلوا ملتزمين دون السماح بأدنى هيكل عمودية⁸².

وتجدر الإشارة إلى أن شعبية وأفقية هذا النظام إما قد تم التقليل من شأنها من خلال مقارنتها بـ «التورية»⁸³، أو أفقدت مصداقيتها من خلال وصفها بالشعبوية. صحيح أن الجوانب الاحتفالية للحراك قد أثارت انتقادات كثيرة: «يخرجون كل يوم جمعة للاستمتاع»⁸⁴، أو يتظاهرون «لالتقاط صور سيلفي»⁸⁵، وهي بعض الانتقادات التي هدفت إلى التقليل من قدر ما سمي بالفعل «ثورة الابتسامة». ومع ذلك، فإن الحجج المستخدمة لتشويه سمعة مسيرات الحراك هي بالضبط ما يجعل من الممكن فهم التمثيل في نموذج غوفمان النظري على أنه حقيقة أن الممثل يظهر نفسه بدلاً من الاختفاء خلف الممثل. انطلاقاً من التحليلات النظرية لغوفمان، رسم الحراكيون الصورة التي أرادوا إعطاؤها عن أنفسهم، من خلال التركيز على إظهار سمات معينة. لقد كتبوا وصممو الرسائل التي أرادوا نقلها إلى القادة والرأي العام الوطني والدولي. في الواقع، يمكن تفسير الجوانب التي تعتبر احتفالية والمناخ الطيب على أنها عرض وتفاقم للصورة السلمية والمدنية التي أراد الحراك أن يعطيها لنفسه، صورة تتناقض تمامًا مع تلك التي تصور تقليدياً حركات الاحتجاج والشغب في الجزائر. أما بالنسبة لاستخدام اللغات الأجنبية (الإسبانية والألمانية والمندرين بالإضافة إلى الفرنسية المستخدمة تقليدياً)، فيمكن تفسيرها على أنها أداة لرسالة مزدوجة: لإظهار صورة الانتفاضة المنفتحة على العالم؛ وإيصال مطالبها إلى المجتمع الدولي.

⁷⁹ Louisa Dris-Aït Hamadouche, « Le soulèvement populaire algérien à l'aune du printemps arabe », Pouvoirs, N° 176, 2020, P 23.

⁸⁰ شاءت الصدفة التاريخية أن يتزامن هذان التاريخان مع يوم الجمعة، يوم المظاهرات. شهدت الحشود الشعبية ليوم الجمعة العشرين الموافق لـ 5 جويلية زيادة ملحوظة، وساهم السياق السياسي في ذلك الوقت في جعل الفرح سائداً. إذ وافق الرابع من جويلية موعد الانتخابات الرئاسية الملغاة «ce soit » <https://www.joradp.dz/trv/fpenal.pdf>

⁸¹ Omar Carlier, « Hirak : un mouvement socio-politique inédit et inventif. Temps suspendu et/ou en devenir », Insanity, 87 | 2020, p. 37-49. <https://doi.org/10.4000/insaniry.23179>

⁸² شهادات مناضلين محليين تعرفت عليهم المؤلفة.

⁸³ تعد التورية احتفالاً يهدف إلى تقوية أواصر المجتمع من خلال الإجراءات المشتركة ذات المنفعة العامة. تنظم في القرى بفضل المشاركة الفعالة (المادية أو الرمزية) من الجميع. Atman Aggoun, « Le Hirak ou la fête dans la contestation », Pouvoirs, N°176, p46

⁸⁴ مناقشة مع أحد سكان تشرت، ديسمبر 2021. مصطلح زردة يستخدم على نطاق واسع من قبل منتقدي الحراك.

⁸⁵ كمشال، « Halte au Hirak du Selfie ! Passons au véritable Hirak. Passons aux choses sérieuses. », Algérie Part, 18/02/2021, <https://web.facebook.com/algeriepart/videos/818920325356413>

يمكن بعد ذلك تفسير مقاومة التمثيل عن طريق الاستبدال بحقيقة أن هذا الشعب المنتفض استولى على هذه الانتفاضة بشكل كامل محاسنها ومساوئها، وقوتها وعيوبها. يتكامل الممثلون الرمزيون للحراك في هذا الترتيب، ويدعمون ويعززون أفعال الحراك دون تولي قيادته. يمكن تلخيص الموقف بهذا التعبير: «بطل واحد هو الشعب».⁸⁶

هل الحراك إذن حركة شعبية؟ هل سقط كما ادعى البعض في «ديكتاتورية الشارع»⁸⁷ لقد أصبحت الشعبية وصف ازدراء بسبب انحرافات الاستبدادية، لكن من المفيد أن نتذكر أنها تيار سياسي، وبينما كان يضع الشعب في مواجهة النخب، كان يطمح إلى الدفاع عن حقوق الأول ضد امتيازات الآخرين. «الحد الأدنى من محتوى أي شعبية هو رفض الوساطة التي تعتبر عديمة الفائدة أو مقيدة أو ضارة ... شرط ظهور تعبئة شعبية هو أزمة شرعية أو أزمة إضفاء شرعية، أزمة الشرعية السياسية التي تؤثر على النظام التمثيلي بأكمله»⁸⁸. إذا كان هذا الوصف يتوافق تمامًا مع حالة الانتفاضة الجزائرية، فإن الاكتفاء بها مُرضٍ جزئيًا. في الواقع، تطورت التيارات الشعبية الرئيسية من خلال الاعتماد على هياكل جيدة التنظيم للغاية، مع زعماء كاريزماتيين يتبنون أدوارهم وليس من قبل حشد من الأشخاص المجهولين الراضين للقيادة. هل هو إذن نوع من الإدمان على التوافق المعكوس؟ في الواقع، فإن الإدمان على التوافق هو الذي يدفع الأغلبية للامتثال لسلطة تعتبر شرعية. ويؤدي إلى الخضوع الطوعي⁸⁹. تنعكس العلاقة في الحالة التي أمامنا. امثل أولئك الذين فوّضوا لتمثيل السلطة للأغلبية. واتخذوا شعار «الشعب يقرر» وطبقوه بأكثر قدر ممكن من الحرّية. ومع ذلك، فإن سيادة الشعب التي تطالب بها الانتفاضة الشعبية من خلال المادتين 7 و 8 من دستور 2016 كانت تعبيراً عن هدف يجب تحقيقه، وليس عن شكليات.

خاتمة

بمناسبة الذكرى الثالثة لانتفاضة 22 فيفري 2019، جرت الاحتفالات الوحيدة الممكنة على مواقع التواصل الاجتماعي. واستطاعت هذه الأخيرة إثبات أنه على عكس ما قد يوحي به غياب المظاهرات، فإن مشروع التغيير السياسي المحمول منذ عام 2019 لا يزال قائماً.

تشير القراءة الأولى لما تم نشره من حيث المشاركات والمناقشات إلى حدوث تطور فيما يتعلق بمفاهيم الهيكل والتنظيم والتمثيل. اختلط النقد الذاتي والندم بتصريحات حول الحاجة إلى تحسين التظاهرات الشعبية وزيادة تأثيرها وفعاليتها من خلال التعبئة المنظمة. هل ستتحقق هذه القراءة على أرض الواقع؟ من المستحيل الإجابة على هذا السؤال الذي سيعتمد ليس فقط على نضج فاعلي الحراك ولكن أيضاً على السياق السياسي.

من ناحية أخرى، فإن العناصر المختلفة التي حُلّت في هذا المقال تجعل من الممكن ملاحظة أن انتفاضة 22 فيفري طرحت مشكلة التمثيل بطريقة معاصرة للغاية. في الواقع، لا تهيمن على مصطلحات هذه الإشكالية العناصر المقبولة كلاسيكياً في المجتمعات التقليدية حيث تسود الأبوية والكاريزما والزعيمية. وحتى لو أدى غياب القائد الطبيعي إلى تفاقم المنافسة بين الشخصيات الرمزية، فقد حمل الحراك رموزاً شلّته في نفس الوقت، مما أدى إلى تحييد أي قيادة.

والمثير للدهشة أن رفض التمثيل الذي لوحظ في الحراك لا يرتبط فقط بالتراكم التاريخي الداخلي المرتبط بغياب الديمقراطية، بل أيضاً بأزمة التمثيل الملحوظة في الأنظمة الديمقراطية، التمثيل الذي لا ترتبط فيه السلطة التي يتم الحصول عليها من خلال الانتخابات ارتباطاً كاملاً بالتمثيل الذي أضعفته الديمقراطية التمثيلية. تحدى الحراك ضمناً التمثيل دون تمثيلية وفرض مؤقتاً تشويهاً متناقضاً من حيث الخضوع للامتثال. فقد خضعت في الحراك الأقلية (الممثلون) للأغلبية (الممثلين).

⁸⁶ قد تبدو المقارنة مع أصل هذا التعبير غير متناسبة، مقارنة بفكرة «بطل واحد هو الشعب» المرتبطة بحرب التحرير. ومع ذلك، هناك عدة أسباب تبرز هذا الوصف لفترة الحراك. كان سياق الحرب العادلة ضد عدو خارجي هو بحكم التعريف موافقاً للتماسك الاجتماعي؛ ومن ناحية أخرى، أظهر التاريخ أن هذا التماسك لم يكن مطلقاً ولم يخلو من العنف. أخيراً، كانت هناك قوى منظمة وكذلك قادة، وكان هذا الشعاع على وجه الخصوص لتحييد الصراعات القيادية.

⁸⁷ Nouridine Bekkis, Le Hirak algérien. Version modifiée du printemps arabe, (en arabe), El Jamii al-Jadid, 2019.

⁸⁸ /Populisme, <https://www.universalis.fr/encyclopedie/populisme>.

⁸⁹ Etienne de La Boétie, Discours de la servitude volontaire, Libro Philosophie, 2018.



Aggoun Atman, « Le Hirak ou la fête dans la contestation », *Pouvoirs*, N°176, p46

Bekkis Nourdine, *Le Hirak algérien. Version modifiée du printemps arabe, (en arabe), El Jamii al-Jadid*, 2019

Boétie Etienne de La, *Discours de la servitude volontaire, Libro Philosophie*, 2018 Carlier Omar, « Hirak : un mouvement socio-politique inédit et inventif. Temps suspendu et/ou en devenir », *Insaniyat*, 87 | 2020, p. 37-49, <https://doi.org/10.4000/insaniyat.23179>

Chartier Roger, « Donner à voir un objet absent », <https://laviedesidees.fr/Le-sens-de-la-representation.html>, 22 mars 2013, consulté le 18/12/2021, Alex Gagnon, « Représentation », in Anthony Glinoe et Denis Saint-Amand (dir.), *Le lexique socius*, URL : <http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>, page consultée le 21 avril 2022.

Driss Aït Hamadouche Louisa, « Soulèvement populaire en Algérie : crise politique et acteurs politiques en crise », 2020, *Maghreb-Machrek*, n° 244-245, D

Driss Aït Hamadouche Louisa, « Le soulèvement populaire algérien à l'aune du printemps arabe », *Pouvoirs*, N° 176, 2020, Gagnon Alex, « Représentation », dans Anthony Glinoe et Denis Saint-Amand (dir.), *Le lexique socius*, URL : <http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>, page consultée le 30 janvier 2022. Pour plus de détails, voir : Goffman Erving, *La mise en scène de la vie quotidienne*, Paris, Minuit, 1973 ; Erving Goffman, *Les rites d'interaction*, Paris, Minuit, « Le sens commun », 1974. <http://ressources-socius.info/index.php/lexique/21-lexique/189-representation>

Hayat Samuel, Péneau Corinne, Sintomer Yves, « La représentation-incarnation », *Raisons politiques*, Presses de Sciences Po, 2018/4 N° 72, <https://www.cairn.info/revue-raisons-politiques-2018-4-page-5.htm>, consulté le 02/01/2022

Le Lay Yves-François, « Représentation », notion à la une de *Géococonfluences*, janvier 2016. URL : <http://geoconfluences.ens-lyon.fr/informations-scientifiques/a-la-une/notion-a-la-une/notion-a-la-une-representation>, consulté le 31/01/2022

Louanas Merouane, *Processus du 22 février 2019 en Algérie : étude sur la nature u mouvement de protestation et ses dimensions internes et externes (en arabe)*, Master en sciences politiques et relations internationales, mai 2021

Mansour Keddar, « Le hirak : les marches pour la reconnaissance », *Insaniyat*, 87 | 2020, p. 93-110 <https://doi.org/10.4000/insaniyat.23334>

Ortiz Isabel, Sara Burke, Mohamed Berrada, Hernán Saenz Cortés, "An Analysis of World Protests 2006-2020", https://link.springer.com/chapter/10.1007/978-3-030-88513-7_2, consulté le 07/02/2022

Ouellet Marie-Eve, « La représentation en Nouvelle-France », *Bulletin d'histoire politique*, Volume 26, Numéro 1, Automne 2017, p. 35-39, <https://id.erudit.org/iderudit/1041431ar>

Pitkin Hanna F., Hayat Samuel, « La représentation politique », *Raisons politiques* 2013/2 (N° 50), <https://www.cairn.info/revue-raisons-politiques-2013-2-page-35.htm#no1>, consulté le 31/12/2021

Pitkin Hanna F., *The Concept of Representation*, University Of California Press, February 1972

Tilmatine Mohand, « Des revendications linguistiques aux projets d'autodétermination : le cas de la Kabylie (Algérie) », *Maktabat el Maghreb*, Centre Jacques Berque, <https://books.openedition.org/cjb/1359?lang=fr>,

Tilly Charles, Sidney Tarrow, « Les mouvements sociaux », *Politique(s) du conflit*, 2008

Tlemçani Rachid, « Algérie : autoritarisme électoral », *Tumultes*, 2012/1-2 (n° 38-39)

